تمهيد :

عاش محمد بن عبد الله ﷺ بعد فترة من انقطاع رسالات السَّماء تبلغ نحو ستَّة قرون منذ ظهور دعوة المسيح بن مريم عليه السلام ، وكانت دعوة الإسلام التي بُعث بها محمد هي آخر رسالات السَّماء ، جاءت متمِّمة لما سبقها ؛ ولهذا فقد كانت رسالة محمد موجَّهة للبشريَّة كلِّها « وما أرسلناك إلا كافَّة للنَّاس بشيراً ونذيراً » (سورة سبأ ، آية ٢٨) .

ولم تمتدّ الحياة كثيراً برسول الإسلام ﷺ إذ لم تكد تتجاوز اثنتين وستين سنة (بين سنتي ٥٧٠ و ٦٣٢ لميلاد المسيح) . وكانت السَّنوات التي انقضت بين بعثته ﷺ و وفاته لا تتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة قمريَّة ، قضى منها ثلاث عشرة سنة في مكة يدعو « عشيرته الأقربين » من قريش ومن خالطهم من القبائل المجاورة ، فلم يستجب له إلا عدد قليل . أما السَّنوات العشر التي قضاها الرَّسول في المدينة فهي التي شهدت انتشار دعوة الإسلام السَّريعَ ودخول النَّاس في دين الله أفواجاً ، وإنه لتبدو من المعجزات قدرةُ الرَّسول ﷺ على تحويل هذا المجتمع البدويّ ، الذي كانت تمزِّقه العصبيّات القبليَّة إلى « أمَّة » موحَّدة واعية بمكانها من التَّاريخ ، وبرسالتها التي قدِّر لها أن تغيِّر مسار البشريَّة . كلُّ ذلك في عشر سنوات فحسبُ ، وهي حقبة لا تكاد تُعدُّ في تواريخ الأمم .